القادمات من الريف على أبواب الجامعة

محمود عبد المنعم مراد

التحرير

بعد أيام يبدأ العام الجامعى الجديد . ويختلط عشرات الألوف من الطلبة ، بعشرات الألوف من الطالبات . وقد انصرف تفكيرى إلى الإناث دون الذكور ، والى القادمات من القرى والمدن الصغيرة المنتشرة فى أنحاء مصر ، دون القادمات من المدن الكبرى ، حيث اعتدن على حياة الحضر ، وعاداته وتقاليده ومستلزماته . ولا أعرف ما إذا كان هذا الموضوع يشغل بال الناس ، وهو يتكرر كل عام ، أم أنه أصبح أمرا عاديا لا يستحق الوقوف عنده والحديث عنه .

ولكنى وجدت نفسى أفكر فيه . وأحاول أن أعرض على السادة مديرى الجامعات وأساتذتها بعض مشكلات الفتيات اللاتى يدخلن الجامعة لأول مرة ، لعلهم يستطيعون أن يقدموا لهن من العون ما هن فى حاجة إليه .

وأبادر بأن أقول أن خبرا صغيرا قرأته فى إحدى الصحف ، أثار فى نفسى هذا الموضوع . والخبر يقول إن الدكتور حسن حمدى رئيس جامعة القاهرة الجديد ، رأى أن يجعل لنفسه مكتبا دائما فى مدينة الطلبة ، وأن يذهب إليه كل مساء ، ويقضى به بضع ساعات كل يوم . وكنت قد سمعت عن الدكتور حسن حمدى ، منذ كان أستاذا للفسيولوجيا (علم وظائف الأعضاء) فى كلية طب القاهرة ، وما سمعته يؤكد أنه مثال للأستاذ الجامعى المطلوب المفقود ، الذى يعنى بالحياة الاجتماعية للطلبة والطالبات ، عنايته بالمادة التى يقوم بتدريسها . وكنا فيما خلا من أيام ، أعدادا قليلة من الطلبة ، يعلمنا أساتذة كبار ، ويعرفون أكثرنا بالاسم ، ويجدون لنا يد العون فى أثناء الدراسة وبعد التخرج . وكانت تنشأ بين الأستاذ وتلاميذه علاقة مودة ورعاية من جانب الكبار ، واعتزاز بالجميل من جانب الصغار . كنا كأسرة واحدة ، قبل أن تعرف الجامعات نظام الأسر . أما الآن فالمدرجات تزخر بالمئات والألوف ، والأساتذة يستعملون مكبرات الصوت فى القاء محاضراتهم ، أو قراءتها من المذكرات ، وعندما يدق الجرس يذهب كل إلى حاله .

ولست أعرف كيف تعود الصلة الوثيقة بين الأستاذ وتلاميذه فى عهد الجيوش الجرارة من الطلبة والطالبات . ولكن الدكتور حسن حمدى أعلن أنه سيحاول ، ونحن فى انتظار المحاولة .

والفتاة القادمة من الريف لتلتحق بالجامعة لأول مرة ، سوف يصادفها كثير من المشكلات ، وبخاصة أنها بعيدة عن أسرتها واشراف أبويها . فالعلاقة بينها وبين زميلها الطالب هى مشكلة أولى تصادفها . ثم تأتى مشكلات حياة الهجرة من الريف إلى المدينة . ومن أسعدهن الحظ بوجود مكان فى المدينة الجامعية ، يمكن أن يجدن بعض السهولة واليسر فى مواصلة الحياة والدراسة . أما أولئك اللاتى لن يجدن لهن مكانا ، فسوف تواجههن مشكلة العثور على مسكن ملائم بأجر معقول . وليست كلهن من ذوات القدرة المالية على اختيار ما يلائمهن ، ثم تأتى بعد ذلك مشكلات أخرى خاصة بالمأكل والمشرب والملبس . والرجال عادة لا يقلد بعضهم بعضا . ولكن الفتيات تغار احداهن من الأخرى ، وتحاول أن تبدو فى المظهر الملائم القريب من مظهر الموسرات من أهل المدينة . وها هنا تكمن المشكلة الكبرى .

وكلنا يعرف وطأة الحياة وارتفاع الأسعار فى الضروريات والكماليات على السواء . وحينما تختلط الموسرة بالمعسرة ، ولابسة الحرير بالخجلة ، والمتمدينة بالريفية الحائر ، تحدث العقد النفسية ، ويتخرج جيل من الفتيات الجامعيات بعد أربع أو خمس سنوات ، وهن فى دروب الحياة المليئة بالشوك . . يتخبطن بين القناعة والطموح ، بين الرضا والسخط ، بين الكرامة واللامبالاة ، ولست أريد الخوض فى عرض هذه الظاهرة ، فكلنا يستطيع أن يتصور بعض ضروب الانحراف والتسيب والتحلل التى يتعرض لها جيلنا الصاعد . وما أقسى الحياة العصرية على الفتيات خاصة .

وعلى مديرى الجامعات والأساتذة أن يعرضوا ما تلاقيه فتياتنا من نقص فى الرعاية الأسرية ، بفيض من الأبوة الصادقة ، والاهتمام بالحياة الاجتماعية لهن ، ومشكلاتها المستحدثة ، قدر اهتمامهم بالتدريس والمحاضرة . والجامعة مؤسسة تعد للحياة بكافة نشاطاتها ، لا العلمية فحسب . فهى ليست مقصورة على التلقين ، ولكن مهمتها أبعد من ذلك وأعظم . انها مهمة اعداد المواطن الصالح والمواطنة الصالحة ، وتهيئة جيل جديد لمصر ، يحيا ويتنج حاليا من الأحقاد والعقد ، سليما من الانحراف .

فهل يمكن أن ينام مئات الألوف من الآباء والأمهات ، وهم قرير العين على بناتهم اللاتى تركن مواطنهن الأصلية ، ودخلن المدن الكبرى ، يتلقين العلم ، فلا ينجرفن مع تيار الحضارة العصرية الحديثة ، وما تخفيه من مشاكل وأخطار ؟ ولن يكون العلاج مجرد لبس الحجاب . فليس المهم هو ما نلبسه ، ولكن المهم هو ما تحت الملابس من عقل وروح وكرامة إنسانية .

نرجو أن ينبرى فيمن آباؤهن الجدد ، مديرو وأساتذة الجامعات .

العالم المجنون

حقائق بشعة تلك التى كشفت عنها دراسة نشرت أخيرا فى أمريكا ، عن ميزانيات التسليح فى العالم . وقد اشتركت فى هذه الدراسة مجموعة من المعاهد والمؤسسات الضخمة ، وكبار العلماء المهتمين بمستقبل الجنس البشرى ، بحيث تقل احتمالات الخطأ أو المبالغة فيما تضمنته هذه الدراسة . ولغة الأرقام هى اللغة الخاصة المحددة ، التى تضع الحقائق أمامك واضحة لا تقبل التأويل ، ولا تحتاج إلى شرح .

وقد جاء فى هذه الدراسة ، أن العالم الذى نعيش فيه الآن ، أنفق فى العام الأخير خمسمائة ألف مليون دولار ، بزيادة قدرها عشرة فى المائة على العام الذى سبقه ، أرجو أن تتصور الرقم !

والعالم الآن مشغول بأزمة الطاقة ، وبدأ العلماء يبحثون عن بدائل للنفط ، ووسائل حل الأزمة التى تواجه البشرية بالخطر والفوضى . وقد اعتمدت كثير من الدول ميزانيات ضخمة لهذه الأبحاث . ومع ذلك فإن هذا العالم المجنون ينفق على الأبحاث الخاصة بتطوير الأسلحة ، ثمانية أضعاف ما ينفقه على البحوث الخاصة بحل أزمة الطاقة المستحكمة . وتنفق الولايات المتحدة على تدريب قواتها المسلحة سنويا ، ضعف ما تنفقه دول جنوب آسيا مجتمعة لتعليم ٣٠٠ مليون طفل من أبنائها كل عام .

وتملك الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى الآن ، أسلحة نووية تبلغ قوتها التدميرية مليون ضعف لقنبلة هيروشيما التى وضعت حدا للحرب العالمية الثانية . ويكفى أن تتصور إلقاء مليون قنبلة كهذه على كوكبنا الأرضى ، لكى نصاب بالدوار . ومع ذلك لا تقف أبحاثها الخاصة بتطوير الأسلحة النووية عند هذا الحد ، بل انها تنفقان كل يوم مائة مليون دولار على هذه الأبحاث . أجل مائة مليون كل يوم !

وفى العالم أزمات اقتصادية ، ودول نامية تشكو من الفقر ، ويموت من أبنائها الملايين ، بسبب سوء التغذية . ولا تزال كثير من الأمراض تحتاج إلى بحوث ودراسات للوقاية منها أو علاجها . والأمية متفشية فى عالمنا الثالث ، والعالم يتزايد عددا رهيبا كل يوم ، بينما تتناقص موارد الطعام فى البر والبحر ، وما من أحد يعلم ماذا يكون عليه الحال بعد عشرين أو ثلاثين عاما . فما هو السبب فى هذا التناقض المجنون ؟

ولو أن كل دولة فى العالم أخذت على نفسها عهدا بألا تعتدى على دولة أخرى خارج حدودها ، لامتنعت الحروب ، وتوافرت للعالم كل سنة خمسمائة ألف مليون دولار . ولكن من الذى يستطيع أن يلتزم بمثل هذا الميثاق ؟ ومن الذى يستفيد من هذا السباق الجنونى للتسليح وتطوير وسائل التدمير الشامل ؟ لو أن مصانع السلاح وتجاره ووسطاءه أوقفوا نشاطهم ، لخسروا على الأقل مائة ألف مليون دولار فى السنة . فمن ذا الذى يريد أن يخسرها ؟

هذه الصورة الرهيبة للمجتمع الدولى الذى نعيش فيه الآن ، قلما تلفت نظر الأفراد العاديين الذين يعيشون حياتهم يوما بيوم ، مهما بلغت درجة ثقافتهم أو رقيهم العقلى . فليست باليد حيلة لتصحيح هذه الأوضاع . انما نحن جميعا ، نحن أفراد الأسرة البشرية التى تعيش حياتها المضطربة على سطح الكوكب الأرضى ، دمى تتحرك بخيوط غير مرئية ، ورياش تافه فى مهب رياح عاتية لا نعرف من أين تهب . وبساعة

نتحدث أحيانا عن احتمال نشوب حروب نووية جديدة . وببساطة نرفض أن نتصور النتائج المترتبة على انفجار مليون قنبلة ذرية ، تجعل الأرض كلها جحيما ، وكل من عليها فانيا .

هل يمكن أن يحكم العالم مجموعة من العلماء الحكماء والفلاسفة ، أو سيظل يحكمه من يحكمونه الآن ؟ . . وما هو المصير؟ هل تصبح الأرض كوكبا مهجورا ؟ ليس هذا ببعيد !

الفئران والناس

هذا عنوان قصة شهيرة لكاتب أمريكى كبير ، هو جون شتاينبكك ، ولكنى لا أنوى الحديث عنها ، بل أريد الحديث عما يلاقيه الناس هذه الأيام من كثرة الفئران وخطرها الداهم على القرى والمدن على السواء .

وكنت قد قرأت أنها كثرت عددا ، واستشرت وتضخمت حجما ووزنا ، وزادت نهما فى كثير من أنحاء مصر ، وهددت الزرع والضرع ، وأصبحت خطرا على الأمن الغذائى ، وربما أصبحت خطرا على الأمن الجنائى أيضا !

ويبدو أنها كثرت فى المدن أيضا ، وقد شهدت جمعا منها منذ أيام ، تلعب وتمرح وتجرى على جدار البيت ، دون خوف ، وهى المشهورة بالجبن والحذر الشديد ، وكانت أمام بيتنا مجموعة من القطط تموء وتطلب الطعام صباح مساء ، وفجأة وجدتها قد اختفت ، وظهرت الفئران على الجدران . ولا أعرف من أين تأتى بطعامها الذى يسمنها ويجعلها ... حتى تخيف القطط ، بينما كانت القطة س ، ابق عهدها ، ترمى الفأر بنظرة واحدة فإذا به يسقط صريعا على الأرض .

أجل ! تحولت الفئران إلى وحوش كاسرة . وهى نوعان ، فئران تعيش فى المزارع والحقول ، وأخرى تعيش فى المنازل . ولكل نوع طعام وخصائص وأخطار ، ومن ثم كان واجب مكافحتها يقع على وزارتين لا وزارة واحدة ، فوزارة الزراعة مسئولة عن مكافحة فئران الحقول ، لأنها تهدد المحصول ، وتأكل القمح والذرة والفول ، ونحن فى مسيس الحاجة إليها ، وخاصة فى شهر الصوم عن اللحم . أما فئران المنازل . . فالمسئول عن مكافحتها هو السيد وزير الصحة ، لأنها تنقل المرض ، وقد يشاركه فى المسئولية وزير الداخلية ، لأن الفئران معروفة بأنها تهوى السرقة للسرقة ، وتتخصص فى سرقة الأدوات الفضية والحلى الذهبية . وأنا واثق مما أقول . فقد كنا ونحن صغار نعيش فى الريف ، ونتطارد الفئران فى جحورها ، نكتشف أنها تحتفظ فى هذه الجحور بمجموعات من الملاعق والشوك ، وكثير من الحلى الذهبية ، التى كنا نظن أنها سرقت ، وننهم بعض الناس ظلما بسرقتها .

والفأر حيوان ثقيل الظل سخيف مقزز . ومن واجب الدولة أن تأخذ هذا الكلام مأخذ الجد ، ولا تستهين به . وفى الكويت هاجمت إحدى الصحف وزير الصحة هناك منذ شهور ، بسبب كثرة الفئران وغزوها للبيوت ، وتوحشها وضراوتها . وكان الهجوم على الوزير شديدا بعض الشدة مما جعل حاكم الكويت يأمر بتعطيل الصحيفة !

ولسنا نريد أن يصل كلامنا إلى هذا الحد . ولكنا نخاف على أمتعتنا وحواجنا وصحتنا وأطراف أصابعنا أن تقرضها الفئران ونحن نيام . وعلى المختصين أن يستغلوا وسائل الإعلام كالتلفزيون ، فى تعريف المواطنين بأجدى الوسائل لمكافحة هذا الخطر . فلم تعد مصايد الفئران التقليدية كفيلة وحدها بمواجهته ، ولابد أن هناك من فنون التكنولوجيا الحديثة ، ومن منتجات شركات الأدوية والكيماويات ، ما يقضى على الفئران ، أو يخفف من وطأتها على الناس .

القاهرة الجديدة

إننى أدعو الذين غابوا عن القاهرة عامين أن يتفضلوا بالحضور إليها وزيارتها ، ليلمسوا بأنفسهم ماذا طرأ عليها من تغيير . لا تزال هنا سلبيات كثيرة ، أهمها الزحام والضجيج ، ولكن نظرة واحدة الى شاطىء النيل ، من آخر بولاق الى المعادى ، ستدلهم على أن حركة البناء والتشييد على أشدها ، فالعمائر الضخمة أصبحت تبنى فى أسرع وقت ، وشركات البناء مصرية كانت أو أجنبية تتنافس فى استخدام الأساليب الحديثة فى البناء ، وكل يوم يجر ترتفع طوابق جديدة ، وتدق الأساسات فى الأرض الفضاء ، بصورة تدعو إلى العجب .

وفى المستقبل القريب ، ستبنى فى مكان الأحياء القديمة التى أزيلت أو فى طريقها إلى الزوال ، أحياء جديدة عصرية شاهقة . هذه حقيقة لا جدال فيها . فالرافعات الطويلة تشاهد فى كثير من المواقع ، والفنادق الجديدة أصبحت أمرا واقعا ، والجسور المقامة على النيل ، والكبارى العلوية فى شتى أنحاء العاصمة ، تتوالى كل بضعة شهور ، وهكذا تبنى القاهرة الحديثة .

ومع ذلك ، فنحن نهمل الاضافات التى يخيل الينا أنها من باب الكماليات فلا نلتفت إليها . ومن أهمها التماثيل والنصب التذكارية التى ينبغى أن تقام فى جميع الميادين . والتماثيل ليست للزينة فحسب ، ولكنها للتاريخ ، ولتكريم الأبطال والشخصيات البارزة التى يجب ألا تنسى ، والقاهرة من أقل مدن العالم الكبرى اهتماما بهذه التماثيل . وكل من ذهب إلى أوروبا يستطيع أن يدرك ذلك ، واحسرتاه عندما أتخيل شوارع روما وميادينها . فى روما تمثال لأحمد شوقى ، وليس فى مصر تمثال له ، وليس فيها تماثيل لأحمد عرابى أو محمد عبده أو لطفى السيد أو طه حسين أو مصطفى مشرفه أو غيرهم من كبار الأدباء والعلماء والقانونيين والمجاهدين الأبطال . وليس فيها نصب تذكارى يليق بشهداء حرب أكتوبر . ولدينا من الفنانين التشكيليين من يشكون البطالة والفاقة ، وهم قديرون على أن يقيموا مثل هذه التماثيل ، فقدرة الفنانين الأجانب وأكثر ، وبعضهم يصنع التمثال ثم يحطمه . لأنه لا يجد له مكانا فى حياتنا .

ولا أظن أن اقامة التماثيل فى ميادين عاصمتنا الكبيرة ، أمر يحتاج إلى كثير من المال ، والميادين موجودة والفنانون كثيرون وأرض الله واسعة . ومصر الفرعونية التى سبقت العالم كله فى هذا الميدان تعثرت فيه آخر الزمان ، ولم تعد تلق بالها إليه . والآثار القديمة مكدسة فى أماكنها التاريخية . أما العاصمة الكبيرة التى ستضم فى القريب العاجل خمسة عشر مليونا من الأنفس ، فلا نجد فيها من التماثيل ما يتناسب مع ضخامتها وأهميتها وسمعتها الدولية .

ومنذ عام أو عامين ، ألفنا تمثالا لسيمون بوليفار . ولو سألت أى مار فى الطريق العام ، عن صاحب التمثال لما أجاب . وفى تاريخنا الحديث عشرات من والأبطال والشخصيات التاريخية التى يجب أن تظل عالقة بالأذهان ماثلة أمام أعين الناس ، جيلا وتاريخا .

قليل من الضحك

لابد لنا من أن نضحك . صحيح أن كثرة الضحك تميت القلب . ولكن القليل منه يصلح النفس ، ويعطى للحياة صورة أجمل وأكثر إشراقا .

وأنا أكتب هذا الكلام ، لأنى أسمع هذه الأيام عن كثير ممن يشكون الاكتئاب ، ويعتزلون الناس ، ويغلقون الأبواب على أنفسهم ، وكثيرون من أصدقائى يعانون من قلة الضحك ، إذا لم يعانوا من الاكتئاب المرضى ولست أعرف لذلك سببا .

وقد دار بذهنى أن هناك شيئا ما فى الجو المنقلب ، وبخاصة فى الفترة الماضية من الحر الشديد والرطوبة الزائدة . هو الذى يجثم على النفس ، ويسبب لنا الشعور بالضيق وسخافة الحياة ، ويقول بعض العلماء إن بين النجوم والكواكب وبين النفوس البشرية علاقة تأثر خفية . وهم يربطون بين ضوء القمر وحالة النفس ، حتى إنهم يسمون فى اللغات الأوروبية بعض مرضى النفوس « بالقمريين » نسبة إلى القمر وما يحدثه من تأثير خفى على النفس البشرية .

وقد لا يكون السبب هو حالة التقلس الشاذة فى هذا الصيف ، بل قلة ما تعرضه وسائل الإعلام من صحف ومجلات واذاعة وتلفزيون ومسرح وسينما من أعمال فنية فكاهية تطرب لها النفوس . وتضحك الأفواه ضحكا خارجا من القلب ، حتى مسلسلات رمضان الأخيرة خلت من الفكاهة الأصلية الخفية ، التى كنا نعهدها فى السنوات الماضية . ولم يعد ممثلونا الفكاهيون يقدمون لنا جديدا يستحق أن يثير الانتباه ، وينعش الصدور . ولم يعد فؤاد المهندس أو عادل إمام أو عبد المنعم مدبولى أو محمد رضا أو محمد صبحى أو غيرهم من فيلق الكوميديا الزاخر بالأسماء ، لم يعودوا قادرين على إضحاكنا . ولا أعرف سببا واضحا لذلك .

فهل نرغرغ أنفسنا ؟

أحمد شوقى

حسن حمدى رئيس جامعة القاهرة .

عبد المنعم مدبولى

عادل إمام